وتفرض علينا أن نلقاهم بوجوه تمثل الحزم وقلوب تضمر العطف والوداد

إنما تمنحكم الجوائز أيها الأبناء النجباء لتنسوا هموم الدرس فماذا تصنعون أنتم لمكافأة أساتذتكم ؟ إن لنا فى ذمتكم جائزة واحدة فتفضلوا بها علينا

أو تدرون ماهى تلك الجائزة ؟ هى أن تكونوا أبطالا يرفعون الوطن ويخدمون الإنسانية

لقد منحناكم خير ماتملك ، فامنحوا الوطن والإنسانية خير ما تملكون

أيها الأبناء النجباء

لقد شقينا لتسعدوا ، فليس من الكثير أن نطلب منكم أن تشقوا ليسعد الوطن وتسعد الانسانية

تذكروا يا أبناءنا الأعزاء أن الشقاء فى سبيل الخير هو السعادة الغالية التى يلتمسها أرباب القلوب

زكى مبارك

فى الأدب الانجليزى

شكسبير والأدب العربى

للأستاذ جريس القسوس

(مهداة الى الأستاذ غرى أبو السعود)

يقف من يتعمق فى دراسة الأدبين العربى والانجليزى على ظاهرة غريبة حرية باهتمام من يعنون بدراسة الآداب الأفرنجية، أعنى بها التماثل الظاهر بين مايرد فى كلا الأدبين من قصص وحكم وآراء فلسفية ؛ وهو تماثل يحمل المرء على الاعتقاد الجازم بأن أحد هذين الأدبين قد اقتبس من الآخر ، أو تأثر به تأثراً بعيداً

وفى روايات شكسبير خاصة من القصص والحكم والكنايات والاشارات ما يثبت أن مؤلف هذه الروايات الخالدة كان ملماً بعض الالمام بالأدب العربى ، وخاصة القديم منه ، ولا نقول العكس لأن هذه القصص المتشابهة وردت فى الآداب العربية قبل الانكليزية بعهد طويل .

وأنى لا أرى مبرراً للزعم بأن شكسبير نقل حكمه وآراءه الفلسفية عن الادب العربى ، إذ أن الشاعر فى كل آن ومكان وفى أية حالة أو ظرف من ظروف الحياة . لا يخرج عن كونه إنساناً يتألم ويحس بما يحس به غيره من الشعراء عند الامم الاخرى ، وإن اختلفوا لغة وجنساً ، فالحياة والطبيعة البشرية ، اللتان هما المصدران الرئيسيان واللتان يستمد منهما الشاعر المخلد وحيه ، إنما هما ثابتتان لا تتغيران أصلا فى كل بيئة وزمان ، فشكسبير والمتنبى ، وبيرون وعمر بن أبى ربيعة ، وشلى وموسيه ، ودانتى وأبو العلاء ، جميعهم حلقوا فى سماء الشعر ، واختلجت فى صدورهم أحاسيس وأخيلة وفكر متماثلة بعض التماثل فى المعنى ، وإن كانت تختلف بما ألبسته هذه المعانى الرائعة من أثواب قشيبة منمقة لهذا ترى العبقرة فى كل باب وفن يتجردون من السفاسف البشرية التافهة والهنات السخيفة التى يتمسك بأذيالها فئة الجهال ، كالفروق الدينية والجنسية واللغوية ، إذ يتسامى العبقرة عن كل تعصب ذميم بمقوت وينضوون تحت لواء مملكة واحدة هى فوق هذه الممالك التى تظهر متباينة الالوان على المخططات الجغرافية

ولعل هذا القول يصدق على التشابه الظاهر بين الحكم والآراء الفلسفية الواردة فى شكسبير والادب العربى ، أكثر منه على الخرافات والقصص العامية .

فهذه تتداولها الألسن من قطر إلى قطر وتتناقلها الأجيال من عهد إلى عهد ؛ ولاحرج على الأديب المنتج من تضمين أدبه قصة عامية تلقاها عن أمة أخرى بالرواية أو المطالعة . وللعالم والأديب الكبير بيزا Beza فصل رومانيا السابق فى فلسطين . أبحاث شيقة حول موضوع شكسبير والخرافات الشرقية . وقد سرد فى محاضرة له قيمة سماها :

Sheakespeare V. the Ohiental Folklore (شكسبير والقصص العامية الشرقية) طائفة من القصص والخرافات التى كانت تدور على ألسنة العوام والفلاحين فى الشرق ، وحين

رجع الصليبيون إلى أوروبا نقلوا معهم الشيء الكثير منها ، فانتشرت تلك القصص بين الخاصة والعامة فى الأوساط الأوربية . فكان شكسبير أحد أولئك الذين ذكروا هذه القصص فى منتوجاتهم الأدبية . وأنا لاأدرى إلى أى حد تبلغ هذه النظرية من الصحة . بيد أنى وقفت على قصص عديدة فى روايات شكسبير ، ذكرتنى بأخرى فى الأدب العربي ، شبيهة بها بعض الشبه .

ولا إخال أحداً طالع رواية مكبث Macbeth ولا يذكر لأول وهلة قصة زرقاء اليمامة فشكسبير قد ضمن هذه الرواية فكرة الغاب المتحرك . إذ حينما عبأ مكدوف Macduff جيشه العظيم منتقما لوالده المغدور به ، ومستعيداً ملكه المغتصب من مكبث القائد الطاغية العنيد ، بعث مكبث من يستطلع أمر العدو ، فاعتلى أحد جنده ربوة عالية تشرف على جيش عدوه . وبدلا من أن يرى جيشاً لجبا ، رأى غابا كثيفاً يتحرك نحوه رويداً رويداً . فعاد الرسول وأخبر مولاه بما رأى . فأيقن مكبث أنه لامحالة هالك ، إذ بذاك تتحقق نبوءة الساحرات الثلاث اللاتى ظهرن له فى أول عهده ، وتنبأن له باعتلاء العرش ، وأنه لن يلقى حتفه حتى يرى غاب برنام Birnam wood ، يتحرك نحو مقاطعة دنسنان Dunsinane ، وما كان غاب برنام الذى شاهده جندى الطليعة يتحرك إلا جيش مكدوف متسترا بأشجار اقتطعها وحمل كل جندى منهم شجرة يسير تحتها متخفياً ليتمكنوا بذلك من مفاجأة العدو ، والايقاع به على حين غرة . وهكذا أسفرت المعركة عن انهزام مكبث ولقاء حتفه على يد الابن الثائر .

وصاحب الاغانى [1] يذكر كيف كانت زرقاء اليمامة ترى الجيش من مسير ثلاثين ميلا ، وكيف أن قوماً آخرين غزوا قبيلتها . فلما قربوا من مساقة منظرها ، قالوا « كيف لكم الوصول مع الزرقاء » ، فأجمعوا على اقتلاع أشجار تستر كل منها فارساً إذا حملها . ففعلوا ذلك وساروا . فأشرفت الزرقاء كعادتها ، فأجابت قومها وقد سألوها « ماترى » قائلة : « أرى شجراً يسير » ، فقالوا : « كذبت أو كذبتك عينك » ، واستهانوا بقولها ، فلما أصبحوا . صبحهم القوم ، فاكتسحوهم فقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وقيل أخذوا الزرقاء فقلعوا عينيها

وقصة أخرى يشير إليها المستشرق الانكليزى الشهير نيكلسون فى كتابه Literary History of the Arabs. فى سياق البحث عن الحياة العامية فى القسم الجنوبى من جزيرة العرب

ولقد وردت هذه القصة فى قصيدة (أسعد كامل أو أبو كرب) التى أطلق عليها نيكلسون اسم (قصيدة الساحرات الثلاث «The Ballad of the three witches» ذلك لما بينها وبين خرافة الساحرات الثلاث . اللواتى يمثلن ذلك الدور المدهش فى رواية مكبث . من تشاكل وتشابه عظيمين . والقصيدة كما سترى ، موضوعة فى قالب أقرب إلى العامية منه إلى الفصحى . وقد نقلها فون كريمر Von Kremer المستشرق الألمانى إلى الألمانية مودعا إياها كتابه Altarabische Gedichte وكذلك نقلها نيكلسون إلى الإنكليزية فى كتابه المذكور [1]

وفى هذه القصيدة يخاطب أسعد ابنه حسنا ويوصيه بالبطولة ، ويسرد له فى سياق الحديث قصة الساحرات الثلاث كيف صادفنه غلاماً ، فمزجت له الكبرى أولا دواء ، وأعطته فشرب ، وقدمت له الوسطى ضبعاً بريا امتطاه وذلله ، ثم جاءت الصغرى تمرّضه فتجنّبها . ولما أيقن فيه هذه الجرأة النادرة والقدرة على مقارعة الخطوب ، تنبأن له بعهد سعيد ومستقبل باهر ، يتنسم فيه ذرى المجد . وهكذا تمت النبوءة فقد أصبح أسعد ، على ماجاء فى القصيدة ، قائد جيش مجر ، ثم ملكا تهابه الأعداء .

وأنت تذكر أن مكبث كان فى أول عهده قائدا مغوارا فى عسكر الملك دانكين Duncen ولما عاد هو وبنكو Benku مظفرين لقيا فى طريقهما ، ثلاث عجائز شمط ، دأبهن القيام بأعمال سحرية خارقة ، ولهن القدرة على قراءة المستقبل ، ومعرفة الغيب فتنبأن أن سيكون مكبث مبدئياً من الشرفاء ، ثم يعتلى العرش . وبعد ذلك بقليل تحقق القسم الأول من النبوءة ، فقد اختار الملك القائد مكبث ليكون شريفاً ، ثم تعلم كيف

(١) الأغاني . ج ٢ ص ٢١ ، ٦٥ ، ٨

(1) Literary Hist. of the Arabs p. 19.

سوّلت لمكبث نفسه التطلع إلى الملك ، فدعا الملك دنكن ، إلى وليمة وقضى عليه ليلا ، ثم نصب نفسه ملكا على الشعب

ومن يدرس ما جاء على لسان هؤلاء الساحرات فى رواية مكبث من أقوال دقيقة معقدة ويقابل ذلك بحديث الساحرات فى العقيدة العربية يلقى تشابهاً يدعو إلى الاعجاب الشديد ، فساحرات مكبث من شأنهن طبخ الادواء ومزجها واستعمالها فى جميع أعمالهن السحرية ، وشبيه بذلك ما جاء عن ساحرة أسعد الكبرى ، فقد ورد أنها

جاءت إليه الكبرى بأسقية شتى وفى بعضها دم كدر

ثم إن الضبع الذى قدمته الساحرة الوسطى لأسعد هو من مطايا ساحرات أسعد ؛ وفى رواية مكبث تشير إحدى الساحرات إلى اتخاذ زوجها النمر مطية تحمله إلى حلب العربية

ولا أدرى ما الذى حدا بشكسبير إلى ذكر حلب البلدة السورية العربية . لو لم يكن بين هاتين الخرافتين من علاقة وثيقة وسبب متين —

أما وقد بسطنا بعض وجوه الشبه بين الخرافتين ، فمن المستحسن الاتيان بقصيدة أسعد كامل بكاملها ليتسنى بذلك مقابلتها مع الخرافة الشكسبيرية بالتفصيل والتدقيق

الدهر يأتيك بالعجائب و الأيام والدهر فيه معتبر
بينا ترى الشمل فيه مجتمعا فرقه فى صروفه القدر
لا ينفع المرء فيه حيلته فيما سيلقاه لا ولا الحذر
اتى زعيم بقصة (عجب) عندى لمن (يستردهذا) الخبر
يأتى بتصديقها الليالى و الأيام إن المقدور ينتظر
يكون فى(الأسد)[1] مرة رجل (ثم) له فى ملوكه الخطر
مولده فى قرى ظواهر همـــدان بتلك التى اسمها (خمر)
يقهر أصحابه على حدث السن (ويحقرهم) فيحتقر
حتى إذا أمكنته صولته وليس يدرى ما شأنه البشر
أصبح فى هيوم[2] على وجل وأهله غافلون ما شعروا
رأوا غلاماً بالأمس عندهم أزرى اديهم بجهله الصغر
أن يفقدوه لا در درهم لو علموا العلم فيه لافتخروا
حتى إذا أدركته روعته بين ثلاث وثلاثة صخروا

(١) الاسر (٢) اهنوم

جاءت اليه الكبرى بأسقية شتى وفى بعضها دم كدر
فقال هاتى إلىّ أنربهـــا قالت له ذر فقال لا أذر
فناولته فـــا تورع عن حصاه حتى أماده السكر
فنهنهته الوسطى فنازلهـــا كأنه الليث هاجه (الزعر)[1]
قالت له هذه مراكبنا فاركب فشرّ المراكب الحمر
فقال حقاً صدقت ثم سما فوق ضبيع قد زانه القمر —
فدق منه جنباً فغـــادره فيه جراح منهـــا به أثر
ثم أتته الصغرى تمرضه فوق الحشايا ودمعه درر
فـــال عنها بمضجع ضجر لا يتساوى الوطاء والزعر[2]
كان إذ ذاك بعد صرعته من شدة الجهل تحته (الابر)
فقلن لمـــا رأين جرأته أسعد أنت الذى لك الظفر
فى كل ما توجهه بوجهها وأنت يشقى بحربك البشر
وأنت للسيف والسنان وفى الأبدان تبدو كأنها الشعر
(وإن)أنت المهريق (كل)دم إذا ترامى (بشخصك) السفر
فارشد ولا تستكن فى (خمر) ورد ظفاراً فانهـــا الظفر —
فلست تلتذ عيشة أبداً وللأعادى عين ولا أثر
نحن من الجن يا أبا كرب يا تبع الخير هاجناً (الدعر)
فمـــا بلوناه فيك من تلف عن عمد عين وأنت مصطبر
ثم أتى أهـله فأخبرهم بكل ما قد رأى فما اعتبروا
فسار عنهم من بعد تاسعة إلى ظفار وشانه (الفكر)
فحـــل فيها والدهر يرفعه فى عظم الشأن وهو يشتمر
حتى أتته من المدينة تشكو الظلم شمطاء قومها غدروا
(أدت) إليه منهم ظلامتها ترجو به ثأرها وتنتصر
فأعمل الرأى فى الذى طلبت (فكان) كل بذاك يأتمر
فعبأ الجيش ثم سار به مثل الدبا فى البلاد ينتشر —
قد ملأ الخافقين عسكره كأنه الليل حين يعتكر
تعم أعداءه (كتائبه) وليس يبقى فيهم ولا يذر
حتى مضى منه (ثانية) وفاز بالنصر ثم ينتصر
إنا وجدنا هذا يكون معاً فى علمنـــا والمليك مقتدر
فالحمـــد لله والبقاء له كل إلى ذى الجلال مفتقر

(السلط ـ شرق الاردن)

هربرت الفسوسى ب . ع
مدرس اللغة الانجليزية فى مدرسة السلط التجهيزية

(١) الذعر (٢) الوعر